

الفيلسوف عبد الله شريط :

يعد الدكتور عبد الله شريط أحد أعلام الفكر الفلسفي المعاصر في الجز لروالعالم العربي برمته ، ولد في مدينة مسكانة بولاية أم البواقي سنة 1921 ، وهو مفكر موسوعي جمع بين التعليم الديني والتعليم الفلسفي دون أي تناقض ، وتوفي سنة 2010 .

وقد كرس الدكتور شريط رحمه الله عمره للنضال الوطني ثم النضال الفكري في سبيل نهضة الأمة الجز لرية وذلك من خلال إحداث تغيير في ذهنية الإنسان الجز لري والعربي المسلم ، وتلك مهمة الفلسفة عنده أي " الاهتمام بمسائل الناس الفكرية المرتبطة بحياتهم الو قعية المعاشة ، ومعناها ثانيا استكشاف المستقبل من خلال نبضات الحياة الراهنة بطريقة تتجاوز الو قع .. ومحاربة المعطلات الخرفية والانفعالية المفرطة سواء على مستوى الجماهير أو الساسة "

إن أهم ما يميز التفكير الفلسفي عند عبد الله شريط هو اقتراحه من الو قع المعيش ، وتكريسه للفكر الفلسفي الإنساني القديم والحديث في معالجة إشكاليات مجتمعه ، ومنها المشكلات التربوية ، والتي ستكون مجال حديثنا في هذا المقام .

كان الدكتور عبد الله شريط من المؤمنين بالتعليم وبالوظيفة الخطيرة التي يمكن أن يؤديها في حياة الأفراد والشعوب ، لذلك فقد انتقد في كتابه " نظرية حول سياسة التعليم والتعريب " النظرة السلبية للتعليم وعدم الإهتمام به ووضعه في مرتبة دنيا ، ونبه إلى التداعيات الخطيرة لهذا الاستخفاف بالتعليم خصوصا وأن هذا الأمر قد أصبح من تقاليدنا الحضارية التي تعود إلى زمن طويل للأسف الشديد ، ويستند الأستاذ شريط في تأكيد هذه الحقيقة المرة إلى ما أكده العلامة "عبد الرحمن ابن خلدون" في مقدمته ، حينما أشار إلى سوء حال التعليم ومستواه في بلاد المغرب و أفريقيا ، خلافا لما كان عليه الأمر في بلاد المشرق .

كما انتقد عبد الله شريط ظاهرة أخرى لا تقل خطورة عن الأولى وهي ظاهرة استيراد النظم التعليمية بدلا من إنتاجها ، لأن " المدرسة التي تستورد نظمها ومواردها العلمية وحتى لغتها أيضا والرجال الممارسين للتعليم فيها من محيط ومن آفاق غير محيطها و ثقافتها ليست مدرسة ثورية "

بالتالي فقد دعا الأستاذ شريط إلى مدرسة أصلية ومتفتحة من حيث برامجها وأهدافها وإطاراتها ، لأن المعالجة الشكلية المقتصرة على الجوانب المادية والبيداغوجية لن تؤدي إلى نتيجة مثمرة ما لم يصاحب ذلك معالجة المشكلات المتعلقة بالإنسان.

آمن الدكتور عبد الله شريط بأن المدرسة هي جزء من الثورة الثقافية التي ينبغي أن يقوم بها الجز لريون في سبيل التمكين لثقافتهم الوطنية ذات الجذور العربية الإسلامية ، فأكد على أن الثورة الثقافية على مجال التربية تعني القيام " بتغيير جذري لواقع مريض بواقع أصح ، وبأنها هي استرجاع الشعب لثقافته الذي فقده بصورة أو بأخرى ، وتطوير هذا التراث بحيث يخدم مصالح الجماهير الشعبية ويساعد على ازدهارها المادي والمعنوي "

إن الهدف من هذه الثورة التربوية هي المساهمة في حماية الشعب من الإنحرافات الفكرية التي أعاقته ، ولزمن طويل ، مسيرته وأعاقته طموحه في التقدم واللاحق بركب الأمم المتطورة ، وبالتالي فمن شأن هذه الثورة التربوية أن " تضمن له التطور السليم ، بتغيير العلاقات الإنسانية من الأساس ، وتغيير الذهنيات وعادات التفكير التي تملئ تصرفات الإنسان

إن المعلم في نظر الدكتور شريط هو الأداة الأولى للقيام بهذه الثورة غير أنه لا يقصد المعلم الذي يعتقد أن وظيفته تقتصر على نقل المعلومات الجافة للتلاميذ والحصول على مقابل مالي تبعا لذلك ، بل يقصد المعلم الذي " ينتقل من موقف المتفرج وعدم اللامبالاة ، إلى موقف الالتزام الجاد والمشاركة الفعالة المنبثقة من وعيه بمسؤولياته و قتناعه بدوره في المجتمع "

لقد استفاد الدكتور شريط عبد الله من التراث الفلسفي الإنساني استفادة عظيمة ، وكان ذلك نتيجة لإلمامه الكبير بمجمل الأفكار والنظريات الفلسفية التي أبدعتها الإنسانية عبر تاريخها الطويل ، غير أن استفادته بذلك لم تقتصر على جانب النظري البحت بل استطاع بفضل حسه الفلسفي وشعوره الوطني أن يجعل ذلك التراث في خدمة قضايا الأمة ، ف"الأستاذ شريط يتفرد عن جميع أساتذة الجيل الأول بغزارة الإنتاج وارتباطه بالمسائل و القضايا التي تواجه المجتمع الجز لري ، ومن هنا فخطابه يتميز بخاصية الاتصال المباشر باليومي والحاضر"

وتبعاً لذلك فقد نظر الأستاذ شريط ، رحمه الله ، إلى التربية نظرة اجتماعية بحتة على غرار ما ذهب إليه ابن خلدون وجود ديوي ، فالمدرسة في نظرة " لسيت جزيرة من المثل الثقافية يحيط بها فراغ كالفراغ الذي يحيط بإنسان ابن سينا ، إنما هو عضو يغذي ويتغذى من بقية أجزاء الجسم الاجتماعي كله "

ووفق نظرة وظيفية قريبة مما ذهب إليه دور دوركايم آمن الأستاذ شريط بأن التربية هي " تعويد للأبناء على العمل ، العمل الجماعي المنسق ، كل عضو يؤدي وظيفته في الحياة والنتيجة هي أن الطعام عند ما يكون جاهزا يكون ثمرة مجهود الجميع

كما أدلى الدكتور شريط بدلوه في العديد من القضايا والمشكلات التي طرحت في مجتمعه كقضية التعريب التي أسالت كثيرا من الحبر ، و أثارت العديد من الصراعات الثقافية و الإيديولوجية ، فدعا إلى نقاش هادئ يلم بالأبعاد الحضارية والسياسية والفكرية حول هذه المسألة ، بعيدا عن كل أوجه التطرف والتعصب الذي أدى على نهاية المطاف إلى فراغ وضباع .

غير أنه إنحاز في نهاية المطاف وبعد بحث وتحليل ، إلى اللغة العربية ، ودعا إلى جعلها لغة لمختلف العلوم ، وعدم النظر إليها وكأنها لغة ميتة ، لأن المشكل بالنسبة للأستاذ شريط لا

يمكن في اللغة العربية في حد ذاتها ، بل يكمن في تدني مستوى أهلها مثلما أشار إليه ابن خلدون .

لذلك ينبغي القيام بمعركة ثقافية شاملة هدفها إثبات ثقافتنا الوطنية العربية الإسلامية أمام الثقافة الفرنسية التي استحكمت في قلوب وأذهان كثير من الجزئيين ، رغم تحقيق الاستقلال السياسي.

وبناء على ما تقدم نخلص إلى أن الدكتور عبد الله شريط هو نموذج للمفكر وأستاذ الفلسفة الذي آمن بأهمية ودور الفلسفة في معالجة قضايا وإشكالات الواقع الراهن بكل تعقيداته ، فقد كان " يأخذ من الفلسفة والأدب المسوغات الفكرية للرأي الشخصي وذلك لبناء الحداثة الوطنية المتوفقة مع التراث الإسلامي "